مقال مترجم

نورٌ عظيم
(مت ٤: ١٥ – ١٦)[١]

❖✚❖

مِن قَبْل أنْ يولَد المخلّص بمئات السِّنين، تنبَّأ إشعياء النَّبي الذي كان يعيش في أوقات مُظلِمَة مِن الاستبداد والقساوة والظُّلم، تنبَّأ عن مجيء نور عظيم فقال: «**الشَّعْبُ السَّالِكُ فِي الظُّلْمَةِ أَبْصَرَ نُورًا عَظِيمًا. الْجَالِسُونَ فِي أَرْضِ ظِلَالِ الْمَوْتِ أَشْرَقَ عَلَيْهِمْ نُورٌ**» (إش ٩: ٢).

لم يكُن هذا النُّور العظيم الذي تنبَّأ عنه إشعياء منذ قرون مضت إلَّا السيِّد المسيح، الذي أتى نورًا في عالمٍ مُظلِم. يكتب القدِّيس يوحنا ويقول: «**اللهَ نُورٌ وَلَيْسَ فِيهِ ظُلْمَةٌ الْبَتَّةَ**» (١يو ١: ٥). عندما خَلَق الله العالم قال: «**لِيَكُنْ نُورٌ فَكَانَ نُورٌ**» (تك ١: ٣). النُّقطة التي علينا أنْ ننتبه إليها هي أنَّ الله أول ما أعلن عن ذاته، كان هناك نور. والمُرنِّم نفسه يقول: «**اَلرَّبُّ نُورِي وَخَلَاصِي، مِمَّنْ أَخَافُ؟**» (مز ٢٧: ١).

الظَّلام حدث بسبب خطيَّة الإنسان. ومع ذلك، فإنَّ الله في وسط الظَّلام، أبقى الله سراج حضوره ونعمته مُضاءين. خلال العهد القديم كله، حافظ الله على وعوده بأنَّه في يومٍ مِن الأيَّام ستنفك قيود الظَّلام. اسمع النَّبي إشعياء يقول: «**قُومِي اسْتَنِيرِي لأَنَّهُ قَدْ جَاءَ نُورُكِ، وَمَجْدُ الرَّبِّ أَشْرَقَ عَلَيْكِ ... فَتَسِيرُ الأُمَمُ فِي نُورِكِ، وَالْمُلُوكُ فِي ضِيَاءِ إِشْرَاقِكِ**» (إش ٦٠: ١-٣).

يصبح مِن المعقول إذن أنْ نسمع عن المجوس أنَّه عند مجيء المسيح قالوا: «**فَإِنَّنَا رَأَيْنَا** (ضياء) **نَجْمَهُ فِي الْمَشْرِقِ وَأَتَيْنَا لِنَسْجُدَ لَهُ**» (مت ٢: ٢).

وعندما رأى سمعان الشَّيخ النَّبي التَّقي مريم ويوسف آتيَيْن إلى الهيكل ليُقدِّما الطِّفل يسوع إلى الهيكل قال: «**الآنَ تُطْلِقُ عَبْدَكَ يَا سَيِّدُ حَسَبَ قَوْلِكَ بِسَلَامٍ، لأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ أَبْصَرَتَا خَلَاصَكَ، الَّذِي أَعْدَدْتَهُ قُدَّامَ وَجْهِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. نُورَ إِعْلَانٍ لِلأُمَمِ، وَمَجْدًا**

---

(١) عن كتاب بعنوان:

Anthony M. *Coniaris, Gospels From the Sunday and Freasts.*

لِشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ» (لو ٢: ٢٩-٣١). إذا ما تتبَّعنا التَّسلسل العظيم مِن نور الخليقة إلى نور التجسُّد، فإنَّنا نجد الله ينزل كنور ليكون إنسانًا في شخص ابنه. يكتب القدِّيس يوحنا عن هذا فيقول: **«فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ ... كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ. فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ، وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ، وَالنُّورُ يُضِيءُ فِي الظُّلْمَةِ، وَالظُّلْمَةُ لَمْ تُدْرِكْهُ»** (يو ١: ١-٥). هذه الأقوال جميلة وحقيقيَّة، وهي ليست إلَّا انعكاسًا لِما قاله الرَّب يسوع، الذي هو النُّور، عندما قال: **«أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ. مَنْ يَتْبَعْنِي فَلَا يَمْشِي فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ»** (يو ٨: ١٢). وقال فيما بعد: **«أَنَا قَدْ جِئْتُ نُورًا إِلَى الْعَالَمِ، حَتَّى كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِي لَا يَمْكُثُ فِي الظُّلْمَةِ»** (يو ١٢: ٤٦).

يقول الرَّب يسوع: **«مَنْ يُؤْمِنُ بِي»**، **«مَنْ يَتْبَعْنِي»**، **«فَلَا يَمْشِي فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ»** (يو ٨: ١٢).ماذا يكون هذا النُّور؟ نحن نعرف في المسيح مَن هو الله. هذا هو النُّور. نحن نعرف في المسيح مَن نحن. هذا هو النُّور. في المسيح نعرف طريق الحياة الذي لأجله خُلِق الإنسان. هذا هو النُّور. في المسيح نجد الإجابة لأحجية الموت. هذا هو النُّور. كل شيء قد استُعلِن لنا في المسيح الذي هو نور العالم. الله: **«أَشْرَقَ فِي قُلُوبِنَا، لإِنَارَةِ مَعْرِفَةِ مَجْدِ اللهِ فِي وَجْهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ»** (٢كو ٤: ٦).

الله افتقر لأجلنا:

كَتَبَ J. B. Phillips قصَّة ساحِرَة أعطاها عنوان: "الكوكب المُفتَقَد"، في الفصل الثَّاني مِن كتابه: "المسيحيَّة في العهد الجديد".

قصَّة:

هي قصَّة ملاك مُحنَّك كان يُري ملاكًا صغيرًا كواكب السَّماء والأجرام المُتَّسعة. وفي أثناء الرِّحلة حَوْل العالَم، شرح الملاك الكبير للآخَر أنَّ الكوكب الصَّغير، والذي ظهر للملاك الأصغر أنَّه مِثل: "كُرة تنس قذرة" هو: "الكوكب المُفتَقَد". وبمهارة شديدة، أدار الملاك المُحنَّك الزَّمن إلى الخلف وقال: "لاحِظ الآن، إنَّ شيئًا سيحدث على تلك الكُرة المظلمة"، وإذ ببريق يلمع فجأة. قال: الملاك الصَّغير: "هل هذا هو الافتقاد؟"، فأجابه الملاك الكبير: نعم، هذا هو الافتقاد. هذا ما تمَّ عندما جاء ملك المجد، رئيسنا العظيم إلى الأرض ليصير إنسانًا. وبسرعة أعتم النُّور، وفي وقتٍ قصير أصبح كل شيءٍ أسودَ. اندهش الملاك الصَّغير

وصاح مُتعجِّبًا: "ما الذي حدث؟" فأجابه الملاك الكبير: "لم يفهموه! إنَّهم رفضوه، هم قتلوه، ولكن انظر الآن بعناية"، وفجأة إذ ببريق يحدث، ومن شدَّة لمعان ضوئه كاد الملاك الصَّغير يفقد البصر، فصرخ مُنزعجًا: "ماذا حدث؟" أجابه الملاك الآخَر: "إنَّها القيامة. لقد قام ثانية مِن الأموات، وصعد إلى السماوات. وهذا هو سبب وجوده الآن في مجدٍ عظيم".

توقَّف الملاك الكبير لحظة واستمرَّ في الكلام وقال: "اِنتبه جيِّدًا وانظر أيُّها الملاك الصَّغير، وسوف ترى ما يُدهِشُك". وإذ ببريق جديد يبرق، وقال الملاك: "هذا هو الرُّوح القُدُس الذي أتى يوم الخمسين". وبعد ذلك بدأت أنوار صغيرة تُبرِق هنا وهناك في كل مكان حول الكُرة الصَّغيرة، عندئذٍ قال الملاك الكبير: "هذا هو الإنجيل يُنادَى به عن طريق تلاميذ وشهودٍ كثيرين في كلِّ أقطار المسكونة، وحيثما يَقبل الناس رئيسنا كمخلِّص لهم، تجد الأنوار تسطع وتنتشر". عندئذٍ سأل الملاك الصَّغير الملاك الكبير وقال له: "هل ستتَّحد هذه الأنوار جميعًا معًا؟ متى ستكون كلها نورًا واحدًا كبيرًا؟" أجابه الملاك الكبير: "هذا في عِلم الآب، هو وحده الذي يعرف اليوم والسَّاعة. ولكن يومًا ما، عندما يعود الرَّئيس إلى هذا الكوكب ثانية، سيكون هناك النُّور السَّاطع إلى الأبد".

الشَّمعة الكبيرة أُضاءت:

جاء المسيح: "نورًا عظيمًا" لأولئك الغارقين في الظُّلمة. كان ولا يزال أعظم نور في العالم. كان هو نور الناس.

من المُحتَمَل ألَّا توجد كلمة يمكن أنْ نصف بها المسيح بدقَّة مثل كلمة: "نور". إنَّه يضيء شموع الحُب، والفرح، والغفران، والسَّلام، والحياة ذات المعنى في حياة النَّاس.

اعتاد المؤمنون عندما يذهبون إلى الكنيسة لحضور القدَّاس الإلهي أنْ يوقِدوا الشُّموع. ما معنى هذا؟ ليس هذا إلَّا تذكيرًا لنا أنَّنا قد استمددنا النور مِن المسيح، وأنَّه يجب علينا نحن أيضًا أنْ نكون شموعًا توقد في حياة الناس.

النُّور قد جاء:

يكتُب القدِّيس يوحنا في إنجيله ويقول: **«وَهذِهِ هِيَ الدَّيْنُونَةُ: إِنَّ النُّورَ قَدْ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ، وَأَحَبَّ النَّاسُ الظُّلْمَةَ أَكْثَرَ مِنَ النُّورِ، لأَنَّ أَعْمَالَهُمْ كَانَتْ شِرِّيرَةً»** (يو ٣: ١٩). حاول الإنسان أنْ يُطفئ النُّور، ولكن ظلَّ النُّور ساطعًا، لأنَّ الله هو نفسه النُّور، وضياءه

يُشرِق على الذين يعيشون في الظُّلمة وظلال الموت. **«أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ. مَنْ يَتْبَعْنِي فَلَا يَمْشِي فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ»** (يو ٨: ١٢).

جاء المسيح: **«نور العالم»**، في ملء الزَّمان:

«وَلكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُودًا مِنِ امْرَأَةٍ، مَوْلُودًا تَحْتَ النَّامُوسِ، لِيَفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ لِنَنَالَ التَّبَنِّيَ» (غل ٤: ٤-٥).

اللاهوتي الألمعي إميل برونر Emil Brunner يُقارِن مجيء المسيح بمجيء الجرَّاح ليجري جراحة خطيرة، كما لو كانت إعادة حياة لمريض. تطلَّع الله مِن السماء إلى العالَم، مِثْل الطبيب الجالس بجوار مريض يهذي مِن الحُمَّى، ولا يعي حتى لوجود الطَّبيب. يظل الطَّبيب ينصت باهتمام لتنفُّس المريض ودقَّات القلب والضَّغط، وعند اللَّحظة المناسبة يستدعي الممرِّضة ويقول: "الآن هو الوقت المناسب، جهِّزيه سريعًا للجراحة".

ومثل طبيب، يقف الله بجوار بشريَّة متألِّمة لقرون طويلة مُنصِتًا بعناية لتنفُّس الإنسان الرُّوحي، وهو يُعِدُّ نبضات روحه. وفجأة: **«لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ»**، قرَّر أنَّ ميعاد الجراحة قد أتى. ولهذه الجراحة الدَّقيقة جدًّا، قرَّر الطَّبيب الجرَّاح السَّمائي أنْ ينزل مِن السَّماء ليُجري الجراحة بنفسه.

ليس مُصادفة:

الله حدَّد ميعاد إرسال ابنه إلى العالم، فالميلاد لم يكن شيئًا طارئًا، فميلاد السيِّد المسيح لم يكن حدثًا عارِضًا طارئًا أو تطوُّريًّا، بل بالعكس كان دخول الله في التَّاريخ في الميعاد المناسب الذي حدَّده. كان الله مُنتظِرًا سنين طويلة حتى جاء الوقت الذي أراده، وعندما دقَّت السَّاعة مُعلِنَة الميعاد، وُلِد المسيح. حقًّا هذا هو: "ميعاد الله" الذي كان عندما: **«جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ»**.

الله حكيمٌ بدرجة فائقة، تجعله يُهيِّئ خطَّة وقصدًا لشعبه الذي خلقه.

عالمٌ مُعدٌّ:

لم يكُن مجيء المسيح حدثًا عفويًّا، لقد جاء في ملء الزَّمان عند الانتهاء مِن فترة الإعداد.

جاء المسيح في نهاية فترة إعداد نبوي، كما شهد على ذلك القدِّيس بطرس لقائد المئة

الرُّوماني عندما قال: **«لَهُ يَشْهَدُ جَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ»** (أع ١٠: ٤٣). عندما سأل المجوس هيرودس أين يولَد ملِك اليهود فإنَّه: **«جَمَعَ كُلَّ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَكَتَبَةِ الشَّعْبِ، وَسَأَلَهُمْ: أَيْنَ يُولَدُ الْمَسِيحُ؟»**، فقالوا له بدون تردُّد: **«فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ»** (مت ٢: ٤-٥). الأنبياء تنبَّأوا بمجيئه.

الله أعدَّ العالَم لمجيء ابنه، ليس نبويًّا فقط، بل سياسيًّا أيضًا. الإمبراطوريَّة الرومانيَّة وحَّدَت العالم، وكل الحواجز بين المدائن والبلاد سقطت، فقد أصبح العالَم مِثل بلد واحد. الطُّرُق لم يعُد يفصلها حواجز، بل صارت جميع الطُّرُق تتمركز لتصل إلى روما، والبحار لم يعُد يتواجد فيها قراصنة، كما ساد السَّلام والهدوء في العالَم، وكان السَّفَر والترحال أمرًا سهلًا في جميع بلاد الإمبراطوريَّة الرومانيَّة. لو كان المسيح قد جاء قبل هذا الميعاد، لظلَّت المسيحيَّة ساكنة في قماطاتها بسبب الحروب والخصام بين الشُّعوب والأمم.

أمَّا الآن، فقد صار مِن السَّهل للبعثات التبشيريَّة أنْ تتحرَّك بسهولة بين الطُّرق التي جهَّزتها بإتقان الإمبراطوريَّة الرومانيَّة، وكذلك الأنهار والبحار، حتى صار مِن الممكن توصيل بشارة الإنجيل إلى أقصى الأرض. كذلك وحدة اللُّغة اليونانيَّة التي أصبحت إمكانية التكلُّم بها وفهمها في جميع أرجاء الإمبراطوريَّة عاملًا أساسيًّا ليتكلَّم بها الرُّسل والمبشِّرون ويكتبوا بها أناجيلهم ورسائلهم وينشروا بها تعاليمهم.

لمَّا جاء ملء الزَّمان، ليس فقط بتحقيق النبوَّات، وليس فقط مِن الجهة السِّياسيَّة، ولا اللُّغويَّة، بل أيضًا أخلاقيًّا ودينيًّا. كانت آلهة اليونانيِّين والرُّومانيِّين إمَّا مائتة أو هي في طريقها إلى الموات. الوثنيَّة الإغريقيَّة بكلِّ حكمتها وفلاسفتها العظام، إنَّما كانت تُقاد عن طريق فتاة فلَّاحة مُهلوَسَة عند معبد دِلفي oracle of Delphi تتكهَّن بالغَيْب. كان العالَم عندما جاء المسيح مُنحَطًّا أخلاقيًّا.

كان عالَمًا ينتظر مُخلِّصًا. عالَمًا كثُر فيه العبيد، عالَمًا في انتظار مَن يقول: **«لَيْسَ يَهُودِيٌّ وَلَا يُونَانِيٌّ. لَيْسَ عَبْدٌ وَلَا حُرٌّ. لَيْسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى»** (غل ٣: ٢٨)، فالكل على قدم المُساواة، والكل أحرار. كان العالَم المُنغمس والغارق في النَّجاسة في انتظار الرَّب يسوع الذي يقول له: **«طُوبَى لِلأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ، لأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللهَ»** (مت ٥: ٨). عالَم غارقٌ في الظَّلام، في انتظار مَن هو **«نُورُ الْعَالَمِ»** (يو ٨: ١٢). عالَم يتلوَّى في يأس الموت، في انتظار مَن هو: **«الْقِيَامَةُ**

وَالْحَيَاةُ» (يو ١١: ٢٥). كان العالَم ينتظر كما في مُخاض هذا الذي يأتيه بالرَّجاء والسَّلام والعدالة والحُب والمساواة.

أُرسل الله ابنه:

لمَّا جاء ملء الزَّمان، وفعلًا تحقَّق وجاء وتمَّ: نبويًّا، وسياسيًّا، ولُغويًّا، وأخلاقيًّا، ودينيًّا؛ أرسل الله ابنه. لم يعُد هناك احتياج لمزيد من الأنبياء، ولا الآباء البطاركة، ولا كهنة على طقس هارون، ولا ملائكة مِن السَّماء، ولا ملوك، ولكن: **«اللهُ، بَعْدَمَا كَلَّمَ الآبَاءَ بِالأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ، كَلَّمَنَا فِي هذِهِ الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ، الَّذِي جَعَلَهُ وَارِثًا لِكُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي بِهِ أَيْضًا عَمِلَ الْعَالَمِينَ»** (عب ١: ١-٢)، **«كَانَ النُّورُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي يُنِيرُ كُلَّ إِنْسَانٍ آتِيًا إِلَى الْعَالَمِ. كَانَ فِي الْعَالَمِ، وَكُوِّنَ الْعَالَمُ بِهِ، وَلَمْ يَعْرِفْهُ الْعَالَمُ ... وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ فينا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْدًا كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ، مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا ... وَمِنْ مِلْئِهِ نَحْنُ جَمِيعًا أَخَذْنَا، وَنِعْمَةً فَوْقَ نِعْمَةٍ. لأَنَّ النَّامُوسَ بِمُوسَى أُعْطِيَ، أَمَّا النِّعْمَةُ وَالْحَقُّ فَبِيَسُوعَ الْمَسِيحِ صَارَا»** (يو١: ٩-١٠؛ ١٤؛ ١٦-١٧).

لم يكتفِ الله بأنْ يُرسِل أفضل مَنْ هم عنده، ولكنَّه أيضًا لم يُشفِق على ابنه الوحيد بل: **«وَأَخِيرًا أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ ابْنَهُ قَائِلًا: يَهَابُونَ ابْنِي!»** (مت٢١: ٣٧).

ليفديهم:

«لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ». لماذا؟ ماذا كان هدف الله مِن هذا؟ بالتَّأكيد، إنْ كان قد تمَّ هذا الإعداد الدَّقيق مِن خلال قرون عديدة، فلا بدَّ أنْ يكون هناك هدف عظيم مِن جرَّاء ذلك. مِثل هذه الذبيحة العُظمى التي سيُقدِّمها الآب لا بدَّ أنْ يكون لها معنى عميق جدًّا وهدف سامٍ لا حدَّ لأبعاده. ها نرى القدِّيس بولس يكشف هذا السِّر العظيم بقوله: **«لِيَفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ»**. ليفتدي الخطاة الواقعين تحت حُكم الموت. ويقول القدِّيس يوحنا: **«وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلَادَ اللهِ»** (يو١: ١٢)، ويقول القدِّيس بطرس عن أولئك الذين اغتسلوا بدم المسيح الثَّمين: **"أنهم يصيرون شركاء الطَّبيعة الإلهيَّة"** (٢بط ١: ٤)، وعبَّر الرَّب يسوع نفسه عن هذا عندما قال: **«لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ قَدْ جَاءَ لِكَيْ يَطْلُبَ وَيُخَلِّصَ مَا قَدْ هَلَكَ»** (لو ١٩: ١٠).

يُعبِّر عن هذا القدِّيس غريغوريوس أسقف نيصص St. Gregory of Nyssa بقوله:

[هل تسأل لماذا وُلِد الله بين البَشَر؟
ها أنا أقول لك سبب وجود الله بين النَّاس. كانت طبيعتنا مريضة وفي حاجة إلى طبيب. سقط الإنسان واحتاج إلى مَنْ يُقيمه. هذا الذي توقَّف عن المُشارَكَة في أيِّ صلاح احتاج إلى مَنْ يُعيده إلى ذلك. هذا الذي أُغلِق عليه في الظَّلام احتاج إلى مَنْ يهبه الحياة. كان السِّجين في حاجة إلى مَنْ يفتديه، والذي كان في الأسر كان في حاجة إلى مَنْ يُحرِّره. والذي كان تحت عُنُق العبوديَّة كان يبحث عمَّنْ يعتقه. هل كانت هذه أسبابًا تافهة أو واهية أو بلا قيمة تستحق أنْ تدفع الله عن أنْ ينزل مِن فوق ليفتقد الطَّبيعة البَشَريَّة؟](٢).

لننال التبنِّي:

إليك الآن أعظم هدف وأرقاه لمجيء الله مِن السَّماء: **«ليفتدي الذين تحت النَّاموس *لننال التبنِّي*»**. لقد أنجز الله كل ما ذكرناه ليُعيدنا إلى مكاننا الأصلي في عائلته، ذلك المكان الذي فقدناه بسبب الخطيَّة: **«اُنْظُرُوا أَيَّةَ مَحَبَّةٍ أَعْطَانَا الآبُ حَتَّى نُدْعَى أَوْلاَدَ اللهِ!»** (١يو ٣: ١)، **«لَا أَعُودُ أُسَمِّيكُمْ عَبِيدًا، لأَنَّ الْعَبْدَ لَا يَعْلَمُ مَا يَعْمَلُ سَيِّدُهُ، لكِنِّي قَدْ سَمَّيْتُكُمْ أَحِبَّاءَ لأَنِّي أَعْلَمْتُكُمْ بِكُلِّ مَا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي»** (يو ١٥: ١٥).

في عمليَّة التبنِّي، فإنَّ نعمة الله هي التي كانت البادئة، فنحن لم نتَّخذ الله ليكون أبًا لنا، ولكنَّه هو الذي تبنَّانا وجعلنا أبناءً له في سرِّ المعموديَّة، من قَبْل أنْ نعرفه، أو نُحبَّه أو نختاره. يقول الرَّب يسوع: **«لَيْسَ أَنْتُمُ اخْتَرْتُمُونِي بَلْ أَنَا اخْتَرْتُكُمْ»** (يو١٥: ١٦).

إنْ كنتَ ابنًا فوارثٌ لله:

إنْ كُنَّا أبناء الله، فنحن أيضًا ورثة: **«إِذًا لَسْتَ بَعْدُ عَبْدًا بَلِ ابْنًا، وَإِنْ كُنْتَ ابْنًا فَوَارِثٌ لِلهِ بِالْمَسِيحِ»** (غل ٤: ٧). يوجد أشخاص فقراء يبحثون أنْ يتزوَّجوا أغنياء، ليصبحوا مِن خلال الزَّواج وارثين لفُرص عظيمة، ولكن هنا، فقد انعكست الأمور. الله في محبَّته اختار أنْ يتَّحِد بنا لنكون نحن وارثيه. جاء الرَّب يسوع مِثل عريس يبحث في أنْ يُقيم علاقة زيجيَّة مع كلِّ أحد منَّا، وخوَّل لنا أنْ نختار أنْ نكون عروسًا له أو نرفض ذلك.

مجيء المسيح كان القصد منه أنْ يُعيد لنا ميراثنا. لسنا بعد عبيدًا أو أُجراء. نحن لسنا

(2) St. Gregory of Nyssa, *The Great Catechetical Oration*, 15.

فقط أبناء بل أيضًا ورثة. وميراثنا ليس شيئًا ننتظره فيما بعد وراء البحار، ولا وراء ما يدعونه الموت، بل ميراثنا حاضر، هنا والآن.

وكوارثين، فنحن نرث كل غِنَى نعمة الله. نحن نرث حُب الله، ونحن نرث أفراح الخلاص، نحن نرث سلام العقل والفكر كعطيَّة مِن الله. نحن نتشارك مع الله في انتصاره العظيم على الموت. نحن ننال رحمة الله في غفران خطايانا. الأبديَّة صارت لنا، ومثلها السَّماء. هذه العطايا كلَّها ننالها ليس كاستحقاق لنا، ولكنَّها نعمة الله التي جعلتنا بنين وورثة للآب السَّمائي. مِن خلال هذا الميراث صار لا حدَّ لغِنانا. يقول القدِّيس بولس: **«إِنَّهُ مِنْ أَجْلِكُمُ افْتَقَرَ وَهُوَ غَنِيٌّ، لِكَيْ تَسْتَغْنُوا أَنْتُمْ بِفَقْرِهِ»** (٢كو ٨: ٩).

صـــــلاة

"يا سيِّدي الرَّب الإله،
أنتَ أرسلتَ ابنك لتفديني،
لأنال ميراث البنين،
لكي بنعمتك لا أكون بعد عبدًا بل ابنًا،
وكابنٍ أصير وارثًا.

أنا أعلم أنَّ هذا لا يحدث آليًّا أو أوتوماتيكيًّا،
بل يجب أنْ أختار الحياة معك.

يجب أنْ أومِن، وأنْ أُطيع، وأنْ أتبعك مِن كلِّ قلبي،
هبني الآن أنْ أَعِدَكَ أنْ أكون هكذا.

يا سيِّدي الرَّب، في هذا اليوم الذي هو يوم ميلادك،

أُسلِّم حياتي لك تمامًا.

خلِّصني، اغفر لي، ردَّني،
اجعلني ابنك أو ابنتك وارثًا لك.
لك كل المجد إلى الأبد.
آمين".